نهج البلاغة مرفأ

الانسانية المعذبة

اية الله الشهيد السيد

حسن الحسيني الشيرازي (قدس سره الشريف)

بسم الله الرحمن الرحیم

نهج البلاغة مرفأ الإنسانية المعذبة

كاتب:

حسن شيرازی

نشرت فی الطباعة:

حسن شيرازی

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

نهج البلاغة مرفأ الإنسانية المعذبة

اشارة

آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي

(قدس سره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ونعمائه، والصلاة على محمد وآله، ولعنة الله على أعدائهم أعدائه.

قبل أكثر من ألف عام، عندما قدم (الشريف الرضي رضوان الله تعالى عليه) هذه الكلمات إلى الرأى العام كتاباً بين دفتين؛ اختلف حولها ناس كثيرون، ولا يزالون فيها يختلفون.

ومهما تناقضت الدوافع والنتائج، فالذى لا يتناقض فيه المختلفون هو: المدى التصاعدى الذى أحدثه هذا الكتاب فى الفكر الإنسانى، ولمّا يزل آخذاً فى التصاعد دون أن يبلغ مداه.

أولاـ يكفى أن الإمام أمير المؤمنين(ع) - بجميع أضوائه وآفاقه التى تتجاوز كل الأساطير مجتمعة - لا يذكر إلا ويذكر معه هذا الكتاب، أو شيء من هذا الكتاب؟!

لقد تموج المقطع الأخير من السنين من عمر التاريخ بأمجاد وفتوحات واسعة وحادة، كانت — بالنسبة إلى الأولين — أحلاماً تذهل من فرط خيالها الأحلام، ولا زالت — بالنسبة إلى المعاصرين — أشبه بأساطير الأولين. وفى هذا الطوفان العارم من غليان التاريخ: لم يتصل بنا — من الأنبياء والأوصياء(ع) - إلا نفر معدود بالأصابع نعدهم فى الغابرين، وثبت أنهم أجدر منا بقيادتنا فى نهاية القرن العشرين كما كانوا أجدر بقيادة آبائنا من قبل، ولا زال بعدهم الواقعى أمامنا اكثر من بعدهم التاريخى ورائنا، وأحد هؤلاء الإمام. ولم يتصل بمناهلنا - من منابع الماضين - إلا روافد معدودة بالأصابع كذلك لم تتسنّه، أحدها: (نهج البلاغة).

إن كل شيء فى عالم المادة - ابتداء من الذرة وما هو أصغر من الذرة، وانتهاء بالسديم وما هو اكبر من السديم - يتحرك تحركاً دورياً، وفى كل دورة يفرغ طاقة ويجمع طاقة. وكل شيء فى عالم المعنى يتحرك تحركاً دورياً كذلك. للانسجام الكامل بين المادة والمعنى، قد تختلف الدوائر ولكنها تبقى دوائر. والإنسانية - كشيء - تتحرك التحرك ذاته: فمحطة المستقبل هى قاعدة الماضى، ونقطة المحطة - القاعدة هى نقطة اللا أمام واللا وراء، وهى نقطة سقوط الماضى والمستقبل.

وهذا.. هو سر رحلة الإنسانية نحو (نهج البلاغة) باعتباره كتاب حياة، بعد رحلتها عن (نهج البلاغة) باعتباره كتاب تراث. لأن (نهج البلاغة) من نقاط التقاء الماضى بالمستقبل، فهو من المأثور المسطور الذى وفد إلينا من وراء أربعة عشر قرناً. ولكن لا يمكن أن يعيش عليه ضباب القدم، لانه - كالفجر، كالربيع، كنجوم الأبد - ... يزرع الضوء فى الطرق الملغمة بالهوى والهوان. إنه كالكون: قديم بإطاره، وجديد بما تكتشف فيه من أفكار وتدجن منه من طاقات.

أنا.. لا أعلم كم - بالضبط - كان مدى صوت الإمام، ولكنى أسمع صوته - بوضوح - يشجع ضمير الإنسان على الانتشار وتغطية كل تصرفاته.

وأنا.. لا أعلم كم - بالضبط - كان حجم قلب الإمام، ولكنى ألمسه - بوضوح - يضخ الحياة فى شرايين الخانعين.

وأنا.. لا أعلم كم - بالضبط - كان مدى سيف الإمام، ولكنى لا تغزونى سكرة الهموم إلا وأجدنى أرفأ إليه، فيغسل عنى الويلات؛ تماما.. كما كان المعذبون يلجأون إلى الإمام، فيمسح عنهم الرهق، ويفرغ عليهم صحوة الأمان.

إذن: ف(نهج البلاغة) جزء من الإمام، وجناح من أجنحته العريضة: يمنح الدفء للمتجمد من الجهل، ويفرش الظل للمحترقين بالظلم.

صحيح: إنه يحتمل الصدمات بمقدار ما يحمى؛ ولكنه الفداء المستمر، الذى يعيش بخلوده لا بوجوده. فإذا استطاع (أن لا يقار على كظة ظالم أو سغب مظلوم)، فلا- يهمه (أوقع على الموت أو وقع الموت عليه). بل يفضل أن يقع – هو – على الموت، فيضع حداً لحياته بموت يحيى أموات الأحياء، ف(ألف ضربة بالسيف أهون على من ميتة على فراش) قال هو(ع).

ولولا أن الإمام أبى إلا أن يكون الفداء المستمر: لكان (أدهى العرب –) كما قال –، ولعرف (فيم علاجهم –) كما قال –، ولاهتدى (الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز).(۱) ولاستطاع – أخيرا – أن يكون امبراطور العرب بل العالم. ولكنه لم يستطع – عندئذ – أن يكون (أمير المؤمنين) و(سيد الوصيين ...)وهل يرضى القلب الكبير والعقل العظيم أن يلخص اهتمام (العالم الأكبر)(۲) فى (سجن المؤمن)(۳) ويختصره (بين نثيله ومعتلفه)(۴)؟! لقد رضى الإمام (من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه)(۵)، ليقيم الحق ويدفع الباطل، وليكون مقاس الحق الذى يدور معه كيفما دار.

لكل ذلك: الحياة تطارد الإنسان نحو مصادره الأصيلة، ليقتبس منها وسيلة جديدة لفتح طريق لم يعركه صِدام أو خصام. فالتدافع الاجتماعى يمتص الإنسان ويستهلك وقوده، فإذا اصبح هشا ينفيه عن الصميم إلى المخابئ والمجاهل مع النفايات: كما تكتسح الأمواج إلى الساحل ما لا يستطيع الغوص فى اللجج، وكما يدفع البدن زوائده من شبكة الجلد ... فلابد من موانئ يرفأ إليها الإنسان كلما أضناه الرهق، ليستمد منها الطاقة على استعادة التجربة.

وموانئ الإنسانية عديدة، ولكن – لعل – (نهج البلاغة) ثانى أعظم ميناء للطاقة الإنسانية، يتساقط إليها المتعبون، فإذا نفخ فيهم نشطوا نحو الأجواء العالية لمزاحمة السحاب.

فالقرآن الكريم – ولا شك – أغنى رصيد للانسانية، وقد نظر إلى الكون والحياة والإنسان باستيعاب مركز وعمق معجز. ولكنه ألقى عليها نظرة تطل من ارتفاع شاهق، فتستجلى كل شىء، متجاوزاً عقبات الطبيعة وحواجز البشر. فأعطى درساً دستورياً مكثفاً، بعيد الآفاق والاعماق. فكان كخلاصة الفيتامينات: لا يمكن تناولها فى جرعة، ولا يمكن الاكتفاء بها لإقامة جسم.

والرسول الأعظم(ص) – ولا شك – أبلغ من جرب الضاد، ولكن دورة التأسيس لم تكن تسمح إلا بطرح القضايا المبدئية، وخلع نفسه على سطح المجتمع لاقامة قواعد الإيمان وشعائره؛ كلما تراخى الصراع الدائر حول مبدأ التوحيد واصل الرسالة. فلم يكن فى وسع الرسول – ولو فى يوم واحد – أن يحدث الناس بكنه عقله، وإنما كان يحدثهم بمقدار عقولهم(۶).

فكان فى مقدور الإمام أن يقف تحت مظلة القرآن والرسول، ويعمق المفاهيم الجديدة ويركز المقاييس الجديدة التى أتى بها القرآن والرسول.

ووقف الإمام يعمق ويركز – فى وفرة هائلة – الأحكام: ابتداء من أول الدين، وتوحيد الله، وصفاته تعالى. ومروراً بفلسفة الرسالات، وتقييم الإسلام ومفاهيمه وأحكامه، وشرح مواقف الرسول، وأبعاد القيادة، والحقوق المتكافئة بين الأطراف الكونية والبشرية. وانتهاء بوصف السماء، والأرض، والطاووس، والنملة، واشياء كثيرة، وبحوث متنوعة؛ ... لولاها لكان فى الإسلام فراغ كبير وغموض شديد.

وهو عندما يعمل فى موضوع – أى موضوع: وضيع أو رفيع – لا- يسرد سرداً ولا- يجتر اجتراراً – كما نفعل نحن، أو حتى كما يفعل الفلاسفة والمفكرون – وإنما يجسد شيئاً حاق به، ويفرغ شحنةً ضاق بها. فلا تأخذه كيف شئت وإنما يأخذك كيف شاء، حتى كأنك فى مشهد أو محراب لا أمام خطيب أو كتاب.

ثم: التسلسل المنطقى المتين وتولد الأفكار من الأفكار، فكل فكرة نتيجة طبيعية لما قبلها ومقدمة طبيعية لما بعدها. فلا فكرة إلا وتمسك بك للتأمل، ولا- جملة إلا- وتطلك على آفاق تطل على آفاق. بدون أى تلكأ، أو تكلف، أو جهاد، أو لهاث؛ ... بل كما ينفجر الفجر، وينسرح العطر، وتهرب المياه فى الانهار، وتفرز القطوف من الأشجار...

وهذه المقدرة الذكية مظهر لواقع الإمام المعجز فى كل ما قال أو كتب، حتى وهو يتناول أعتى الأشياء على القلم واللسان.

فاستمع إليه وهو يتحدث عن الدين وعن التوحيد وعن الله:

(أول الـدين معرفته، وكمال معرفته التصـديق به، وكمال التصـديق به توحيـده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه: لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة).

(فمن وصف الله – سـبحانه – فقـد قرنه، ومن قرنه فقـد ثناه، ومن ثناه فقـد جزاه، ومن جزاه فقـد جهله، ومن جهله فقـد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده. ومن قال: (فيم)؟ فقد ضمّنه، ومن قال: (علام)؟ فقد أخلى منه).

(كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم. مع كل شـىء لا بمقارنة، وغير كل شـىء لا بمزايلة. فاعل، لا بمعنى الحركات والآلة. بصـير، إذ لا منظور إليه من خلقه. متوحد، إذ لا سكن يُستأنس به ولا يستوحش لفقده).(٧)

فالأصـل الأـول للـدين هو (معرفـة الله). ولاـ يمكن معرفـة الله إلاـ ب(التصـديق) فمجرد (التصور) ليس دينـا، وإنمـا الـدين هو الإذعان المطلق. ولا يكمل (التصـديق) إلا بالإله الواحد، فالتصديق بالآلهة المتعددة بدائى يزول بالتأمل، لأن الإله لو كان متعدداً لتناقضوا وعلا بعضـهم على بعض ففسدت السماوات والأرض(٨). هكـذا.. تنبسط الأفكار الجليلـة الماورائيـة لمدى الإمام، فتتولد وتتناسق بمثل هذه الجزالة وهذا العمق.

ويقول قبل ذلك:

(ليس لصفته: حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود).(٩)

فالله (مطلق) غير متناه، فلا تطوقه دائرة الأبدية التى طوق بها خلقه، وإنما هو فوق هذه الدوائر ومعها وبعدها.

والوقت هو وليـد حركة الأجرام الكونية، فلا يرقى إلى الله. فبالنسبة إلى المقهورين بالزمان يوجد شـىء اسـمه (الأبد)، أما بالنسبة إلى قاهر الزمان فلا يلغى مولدات الزمان إلا ويكون (الأبد) قد رحل.

وسئل الإمام عن التوحيد والعدل، فكان الجواب:

(التوحيد: أن لا تتوهمه، والعدل: أن لا تتهمه).(١٠)

فالصور الذهنية مخلوقة لاصحاب الأذهان، وليست خالقة لهم. والإله المتهم، ليس عادلاً. أما الله، فهو: خالق الأوهام، وبعيد من الاتهام. وفى كل ما قرأت عن الله، لم أجد جملتين بهذا الجلاء والمضاء: كل جملة تتضـمن مدلولاً واضـحاً يرفض أى احتمال، ودليلاً مكيناً لا يترك مجالاً لجدال. وهل يمكن أن يوجد إنسان يتحدث عن صفات الله بمثل هذه السيطرة على التفكير والتعبير؟!

ويمضـى – متابعـاً خطوه – فى دائرة المعـارف التى نهجهـا لتعميق المفاهيم وتركيز المقاييس الجديـدة، ويقف على فلسـفة الرسالات، فيلخصها فى بندين:

١– إن الله أخـذ الميثاق من بنى آدم – قبل أن ينقلهم إلى هذا العالم – على أن الله ربهم، فأعطوا الميثاق من أنفسـهم: (وإذ أخذ ربك من بنى آدم – من ظهورهم – ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم: (ألست بربكم)؟! قالوا: (بلى.. شهدنا) ...) سورة الأعراف، ١٧٢. وأخذ نفس الميثـاق من الأنبيـاء – بصورة أكيـدة –: (وإذ أخـذنا من النـبيين ميثـاقهم، ومنـك ومن نوح وإبراهيم وموسـى وعيسـى بن مريم. وأخـذنا منهم ميثاقاً غليظاً) سورة الأحزاب، ٧. ثم تمرد بنو آدم على الميثـاق الـذى أعطوه من أنفسـهم – لما انتقلوا إلى هـذه الـدنيا – فكفروا بالله، فبعث الله الأنبياء ليطلبوا من بنى آدم العمل بذلك الميثاق.

٢– إن الله أرسـل إلى كـل إنسان رسولاً هو ضـميره، وهـذا الرسول يقول للإنسان كل شـىء، يقول: هـذا.. حق، وذاك.. باطل، ولماذا فعلت الشـر وتركت الخير؟؟!! ففى بعض الحديث: (إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة. فأما الظاهرة: فالرسل والأنبياء والأئمـة(ع)، وأما الباطنـة: فالعقول).(١١) ومحكمـة الضـمير تبقى مفتوحـة ليـل نهـار، وتـدأب فى أعمالهـا واصـدار أحكامها حتى فى حالاـت النـوم، فتصور الأحكـام بالاحلاـم. ولكن الضـمير قـد يضـعف بكـثرة تسـفيهه وتقريعه، وقـد يـدفن تحت ركـام من الشـهوات والعادات، فأرسل الله الأنبياء لتحرير الضمائر المكبلة، وتفجير الضمائر المهلهلة:

(واصـطفى – سـبحانه – من ولـده (آدم(ع)) أنبياء: أخـذ على الوحى ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالـة أمانتهم؛ لمّا بدل اكثر خلقه عهد الله

إليهم ...فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم انبيائه؛ ليستأدوهم ميثاق فطرته ... ويثيروا لهم دفائن العقول).(... ۱۲)

فالأنبياء ما جائوا ليناقضوا الإنسان، وإنما جائوا ليشجعوه على الالتحاق بواقعه، ويفجروا طاقاته الدفينة تحت أنقاض التخلف والإجرام.

أو لم يفسر القرآن فلسفة بعثة الرسول بقوله ...: (ويضع عنهم إصرهم، والأغلال التى كانت عليهم) ... سورة الاعراف، ۱۵۷؟!

من هنا.. من مصدر الوجود ومبعث الرسالات، يبدأ الإمام فى فلسفة الوجود. ولا يحاول – مطلقاً – أن يفبرك فلسفة مستقلة، وإنما يتابع الرحلة التى صدح بها القرآن منذ بدأ القرآن رحلته إلى الأرض إلى أن بلغ ختامه، ويواكب سير الرسالة منذ أن دثر الله رسوله بالوحى إلى أن خلع الحياة. وإن كان – فى بعض الأحيان – يبدو أنه ينسج من جديد، ولكن – لدى التحقيق والمقارنة – يظهر أنه يستقى من: الضمير القرآنى المجيد، والعمق الرسالى الرشيد. وإن يكن – هناك – أى زهوق أو مروق، ففلسفة الوجود واحدة: عبر عنها القرآن باسلوبه الدستورى، وعبر عنها الرسول بأسلوبه التأسيسى، وعبر عنها الإمام باسلوبه التركيزى. أما سائر الفلسفات الأخر: فإنها تعانى من التخلف أو التجاوز، وفى كلتا الحالتين لا تطابق بينها وبين الواقع.

وفلسفة الوجود الصحيحة – التى عبر عنها الإمام – هى التى انبثقت عن الله، ولكنها ما انفصلت عنه بالمزايلة – حسب تعبير الإمام –. فكل شىء – مهما كان صغيراً أو كبيراً – جزء من الكون، اندفع إلى الوجود وفق فلسفته العامة، فهو يعطى للحياة ويأخذ من الحياة. فلا ينظر إليه باعتبار حجمه، وإنما ينظر إليه باعتباره طرفاً متعاملاً مع الكل، فله احترام الكل. أو لم يقل القرآن ...: (من قتل نفساً – بغير نفس، أو فساد فى الأرض – فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) سورة المائدة، ۳۲؟!

فقوة الوجود تمنح لكل صغير نصيبه من الرعاية بنفس الاهتمام الذى تعطى به نصيب الكبير: فللنبتة الزاحفة من الاهتمام بقدر ما للدوح العتى، ولصغار الحشرات وزغب الطيور ما لسباع الصحراء ونسور الفضاء ... أو ليس الله (أعطى كل شىء خلقه، ثم هدى) سورة طه، ۵۰. و(أتقن كل شىء) سورة النمل، ۸۸؟!

وأقل حق يوفر على المخلوق – وخاصة: إذا كان ذا حياة – أن يوفر له حق الحياة، فلا ينازع فى ما يمسك عليه حياته، ف(لكل ذى رمق قوت) و(لكل حبة آكل...)

وعندما تكون الجناية على ضعيف لا يقاوم، وعندما تكون الجناية من أجل شىء بخس لا يغرى؛ تنقلب الجناية الصغيرة خيانة عظمى، لأنها تشويه لعدالة الله فى الوجود، واعتداء على العدالة الكونية: (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصى الله فى نملة أسلبها جلب شعيرة، ما فعلته).

فلا يؤخذ الكون بعين الشاعر التى تظهره فى وحدة وجودية، ولا يؤخذ بمعمل العالم الذى يجزء كل شىء ويفرده لتكبيله وتحليله، وإنما يؤخذ الكون – كما هو – أجزاء متباينة متعاونة. فعناصره المختلفة مترابطة مع بعضها، ولبعضها على البعض حقوق متكافئة: فإذا كانت الشمس تمنح الوجود دفأ، فهى تأخذ منه ما يعوض استهلاكها، فلا يصغر حجمها. وإذا كان البحر يرطب الجو غيوما، فهو يسترجع روافده عيوناً وأنهاراً، فلا ينضب. وإذا أخذت الوردة من الهواء والنور، فهى تدفع اليهما من عطرها ولونها بمقدار ما أخذت منهما؛ ... ف(بالحق قامت السماوات والأرض) – قال الإمام –. ولكل شىء دور لابد له من القيام به، وإلا كان ميتاً استهلكته الأحياء بسرعة كبيرة، فى عمليات التطهير الدائبة فى الكون.

وبين البشر – الذين هم من عناصر هذا الكون – نفس الحقوق المتكافئة بين جميع عناصره، القائمة على وحدة هى (الحق):

(ثم جعل – من حقوقه – حقوقاً لبعض الناس على بعض. فجعلها تتكافأ فى وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض).

فمن يعطى من نفسه الحق يأخذ الحق من نفوس الآخرين، ومن يرفض الاعتراف بحقوق الآخرين لا يكون له فى الحق من نصيب. ومن اخذ اكثر مما أعطى فهو ظالم، ومن دفع أكثر مما أخذ فهو مظلوم. فإذا تزاحمت النعم على فرد فهو لم يجمعها بقدرة قادر، وإنما هى حصيلة عناصر أخرى بشرية وغير بشرية. فعليه أن يرتفع – فى تعامله مع سائر عناصر الكون – إلى ذلك المستوى، وإلا انسحبت

عناصر الكون عن التعامل معه إلى مقدار تعامله معها:

(من قبض يده عن الناس قبض عنهم يدا واحدة وقبضت عنه أيد كثيرة) وإذا قبضت عنه أيدٍ كثيرة، يبقى وحيداً لا يجيد إلا القليل.

(من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه: فمن قام لله فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء).(۱۳)

فعدالة الله جارية في نواميس الكون، وهي (الحق) الذي به قامت السماوات والأرض، ولا يحيد عنه شيء إلا لينهار هو ويستهلك في غيره.

الناس لا يوجهون طاقتهم القتالية إلى الأموات، ولا يضربونها حتى بالحجارة، لأنهم بحاجة إلى طاقتهم وجهدهم، فلا يوجهونها إلا إلى من يخافون منه، وهم لا يخافون من الأموات. فلا يهدرون شيئاً من طاقتهم وجهدهم إلى هدمها، وإنما يتركون الأموات يهدمها الزمان ويأكلها التراب.

ولكنهم يحاربون العمالقة بعد موتهم، لأن العمالقة لا يموتون، وإنما يعيشون - بعد غيابهم في التراب - حقبا مختلفة، يثيرون الهلع والفزع في قلوب الأقزام.

والإمام من العمالقة الذين ما ماتوا، وإنما استمروا يحركون الحياة وهم راقدون مع الأموات.

لقد استشهد الإمام في المحراب، ودفن ليلًا - لا يحمل جثمانه إلا اثنان من أبنائه - كما يدفن الغرباء، رغم أنه خليفة المسلمين. وبقي الناس يرهبونه، و(الخوارج) ينبشون القبور في ظهر (الكوفة) بحثاً عن جثمانه، خشية أن تعود إليه الروح. وجندوا كل أجهزة العالم الإسلامي للتشكيك: في كفائته كخليفة، وفي سعته كإمام، وفي إنسانيته وإسلامه ... واتهموه بكل التهم المتوفرة في مختلف عصورهم؛ فلم تنجح في اقتلاعه من قلوب البشر - مسلمين وغير مسلمين - الذين: عرفوه بشراً بين الخالق والمخلوق، وعرفوا كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق. ثم نهض من تحت كل هذا الركام من الانقاض، يقود الناس.

عجيب أمر هذا العملاق الذي يرفض أن يموت!

لقد ظهر أن سيل النار الذي يتدفق نحوه - على امتداد أربعة عشر قرناً - لإحراقه، ينصب في دمائه، ليزيد في مقدرته على قيادة البشر، وتجاوز كل الحواجز التي تفصل بين الأمم.

عاطفة الإمام الحادة ما طافت فوقه كالطوفان، وإنما كان عقله الجبار ينظم عاطفته، فهي تجيش ولا تجرف ولا تغرق.

عينه على كل حركة، وسمعه على كل همسة: فلا يسمع أنيناً إلا خف بالنجدة، ولا سؤالاً إلا سارع بالجواب، ولا عثرة إلا بادر بالهدى يتتبع آلام الناس فيفندها، وجراحاتهم فيضمدها، ومشاكلهم فيضع لها حلًا بليغاً.

في قلبه إيمان يخصب الأفئدة، وفي عينيه أسى عذب يتوهج كلما رأى العذاب في العيون، وعلى جبهته السموح نفار عزم رشيد.

ويسير - على الزمان - مكدوداً، تمر ساعاته - كالدهور - بطيئة مثقلة بالمتاعب والمصاعب، فقد سلطت الدنيا عليه الأضغان والأحقاد بكل وسائل التعذيب والاضطهاد:

فهذا.. يعذب حتى تفيض روحه، وذاك.. يعذب واقصى أمانيه أن تفيض روحه ولا ـ تفيض؛ وهو لا يملك أن يدرأ، فحوله أنصار كالأعداء. فيغضب، ولابد من الغضب.

الأديب يتصور، ولا ـ يهمه أن يصور تصويراً جميلًا. بينما الإمام يكرس الواقع في تصوير جميل، ثم يفرغ الواقع والصورة في ما يهدى ويرشد. فالأدب ليس ترفاً والواقع ليس قرفا، إنما هما جزءان من الوجود لتكميل الجزء الثالث الذي هو الإنسان.

كان للإمام من روعة الأدب الجاهلي وسحر الواقع الإسلامي، ما حدا ببعضهم إلى أن يقول - في كلامه -: (فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق). فقد نشأ في المحيط الذي تصفو فيه الفطرة، وعايش أحكم الناس الرسول، وتلقى رسالته قبل أن يجرى عليها نفس، بالإضافة إلى مواهبه العظيمة. فتلاقت: الفطرة، والتوجيه، والبيئة.

الإمام ذلك الإنسان الشامل، الذى وظف البحث والوصف للتعبير عن فلسفة الوجود: فيتحدث عن أحوال الدنيا وشؤون الناس، ويعرف البرق والرعد، ويوجه إلى خفايا النمل والخفاش، ويقنن الاخلاق، ويصوغ النظم.. أو ليس كل شيء وجد لحكمة، والله أتقن كل شيء، وله فى كل شيء آية؛ لا فرق بين صغير وكبير؟! فالكل مضموم برباط، طرفاه الأزل والأبد.

الفلاسفة يحولون الواقع الملموس بالمشاعر، إلى فلسفة لا تلمس إلا بالأفكار. والقادة يحولون الفلسفة التى لا تلمس بالأفكار إلى واقع ملموس بالمشاعر، ثم يوظفونه فى تحريك الجماهير فى الطريق الذى يشقونه لها، نحو الهدف الذى يحددونه لها. فالجماهير لا تسير خلف الكلام، ولكن الفلاسفة والجماهير معاً يسيرون خلف الواقع. فالقائد – دائماً – أمام الفيلسوف.

والإمام استطاع أن يحتضن الأفكار المجهضة، ويربيها، ويجعلها خلقاً حياً يسير بين الأحياء ويحرك الأحياء. فكان ذلك القائد الذى يحلق فى الأعالى – كموكب ملائكى، كقاعدة النور.. – يغير ويطور. وأجيال الفلاسفة يقبعون فى كل زاوية ومنعطف، فى انتظار: أية لفتة أو كلمة، وأية نبضة فكر أو فتكة سيف ... ليجتمعوا حولها: فيفسروها، ويكبروها، ويبنوا بها شخصياتهم الفلسفية.

يرى الإمام، فيشعر، فيعبر بمقدار الموقف. فيجتمع لديه الصدق، بالموافقة لمقتضى الحال، اجتماعاً عفوياً. فيسجع بمقدار ما فى الموقف من سجع، ويصنع بمقدار ما فى الموقف من صنعة. فيكون – مع المنافقين، والمنتفخين على حساب المستضعفين وأصحاب الحقوق المهدورة – ثائراً هادراً، يصعق: فتنخلع القلوب، وتزيغ الأبصار. ويبدو كل شيء – أمامه – هيناً تافهاً: (ما هى إلا الكوفة، أقبضها وأبسطها) حتى كأنك أمام: البركان إذ يتفجر، والزلزال إذ يدمر، أو أى مظهر من مظاهر الطبيعة لا يطال، فما لك إلا أن تعترف وتخشع. ويميز اسلوبه – فى مثل هذا الموقف – بالتكرار بغية الاقرار، وباستخدام المترادفات من الكلمات، وتهويل التعبير، لمزيد من التأثير. وينتقل من: استعظام، إلى استفهام، إلى إخبار، إلى إنكار...

وإذا كان (نهج البلاغة) بعض التعبير الشفوى من قشرة حياة الإمام، فما هو عمق حياة الإمام؟ إنه (الإمامة) بمعناها الدقيق العميق.

وإذا كان ما وصل إلينا بعض ما كان بينه وبين الناس، فما كان بينه وبين الرسول أروع، وما كان بينه وبين الله أوسع وأجمع.

وكما تبكر الغزلان إلى الماء، لتنال رياً يساعدها على رقصة الصحراء. وكما تقذف أعالى الصخور ما فى ثقوبها من الطيور – مع ذرات النور – إلى السهول، لتلتقط زادها على مسح الفضاء. وكما ترمى البحار ما على ظهورها من السفن إلى الضفاف، لتأخذ قسطها من الاطمئنان والنشاط على مناورة الأمواج؛ ... كتلك: يكون الإنسان عندما يقترب من (نهج البلاغة)، ل: ينهل من نميره العذب، ويتزود من عطائه السخى، ويستلهم منه الاطمئنان والنشاط على الإبحار فى محيط الحياة.

ولا أريد أن اسبق الكتاب إلى مواضع المتعة فيه: فالبحر هو البحر أجتثه حينما تنزو موجاته على شرفة الشمس مع الصباح، أو حينما يسجو على صفحاته الليل. ونور الشمس هو نور الشمس، من أى جانب تأخذه ... ولكن قد يرتفع الإنسان إلى قمته، فيفهم بعض شيء من كلام الامام، فيتباهى بأنه فهم هذا الشيء. وكفاه عبقريةً وشرفاً

۱ – نهج البلاغة كتاب الإمام إلى عثمان بن حنيف الأنصارى.

۲ – إشارة إلى الشعر المنسوب إلى الإمام:

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر؟!

۳ – إشارة إلى الحديث الشريف: (الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر).

۴ – إشارة إلى كلام الإمام حول عثمان ...: (إلى أن قام ثالث القوم: نافجاً حضنيه، بين نثيله ومعتلفه). نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

۵ – نهج البلاغة كتاب الإمام إلى عثمان بن حنيف الأنصارى.

۶ – إشارة إلى الحديث الشريف: (إنا أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس بقدر عقولهم): موسوعة بحار الأنوار، ج۲، ب۱۳، ح۲۳.

۷ – نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

۸ – إشارة إلى الآية الكريمة: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فسبحان الله رب العرش عما يصفون!) سورة الأنبياء، ۲۲.

۹ – نهج البلاغهٔ، الخطبهٔ الأولی.
۱۰ – نهج البلاغهٔ، الحکمهٔ رقم ۴۶۲.
۱۱ – موسوعهٔ بحار الأنوار، ج۱، ب۴، ح ۳۰، فقرهٔ ۱۶.
۱۲ – نهج البلاغهٔ، الخطبهٔ الأولی.
۱۳ – نهج البلاغهٔ، الحکمهٔ رقم ۳۶۴.
[رجوع للقائمهٔ]

پی نوشت

أخذنا هذا المبحث من شبکهٔ النبأ المعلوماتیهٔ، مجلهٔ النبأ العدد ۴۹ آیلول ۲۰۰۰ / جمادی الثانیهٔ ۱۴۲۱ه.

تعریف مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبهٔ/۴۱).
قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحَار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمهٔ فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائمیّهٔ" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیهٔ الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذهٔ هذه المدینهٔ، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرهٔ الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحهٔ صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَهِ ۱۳۴۰ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۳۸۰ الهجریّهٔ القمریّهٔ)، مؤسَّسهً و طریقهً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.
مرکز "القائمیّهٔ" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَهِ ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریّهٔ القمریّهٔ) تحتَ عنایهٔ سماحهٔ آیهٔ الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَهِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّهٔ و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّهٔ، ثقافیّهٔ و علمیّهٔ...
الأهداف: الدّفاع عن ساحهٔ الشیعهٔ و تبسیط ثَقافهٔ الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّهٔ، تخلیف المطالب النّافعهٔ – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلهٔ أو الرّدیئهٔ – فی المحامیل (=الهواتف المنقولهٔ) و الحواسیب (=الأجهزهٔ الکمبیوتریّهٔ)، تمهید أرضیّهٍ واسعهٍ جامعهٍ ثَقافیّهٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعهٔ ثقافهٔ القراءهٔ و إغناء أوقات فراغهٔ هُواهِٔ برامِجِ العلوم الإسلامیّهٔ، إنالهٔ المنابع اللازمهٔ لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرهٔ فی الجامعهٔ، و...
- مِنها العَدالهٔ الاجتماعیّهٔ: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزهٔ الحدیثهٔ متصاعدهً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافهِٔ الاسلامیّهٔ و الإیرانیّهٔ – فی أنحاء العالَم - مِن جهههٍ اُخرَی.
- من الأنشطهٔ الواسعهٔ للمرکز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبهٔ، نشرهٔ شهریّهٔ، مع إقامهٔ مسابقات القِراءهٔ
ب) إنتاجُ مئات أجهزهٍ تحقیقیّهٔ و مکتبیهٔ، قابلهٔ للتشغیل فی الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّهِٔ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکهٔ و... الأماکن الدینیّهٔ، السیاحیّهٔ و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشک، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللّهُ تعالی؛ و اللّهُ ولیّ التوفيق.

